

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ
أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 19]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُسَارَعَةُ
مُوسَى لِغَاثَةِ
الْإِسْرَائِيلِيِّ مَرَّةً
أُخْرَى

لَمَّا كَانَ الْحَالُ مُقْتَضِيًا أَنَّ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يَمُكُثُ مَدَّةً لَا يَخَاصِمُ أَحَدًا؛ خَوْفًا مِنْ جَرِيرَةِ ذَلِكَ الْقَتِيلِ، وَلَمَّا صَارَ الْإِسْرَائِيلِيُّ - الَّذِي خَلَّصَهُ مُوسَى بِالْأَمْسِ - يَسْتَغِيثُ بِهِ ثَانِيًا مِنْ قَبْطِي آخَرَ؛ عَاتِبَهُ مُوسَى، ثُمَّ دَنَا مِنْهُمَا؛ لِيُنْصِرَهُ مِبَادِرًا إِلَى إِصْرَاخِهِ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَبْطِشُ﴾: (بَطَشَ) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخَذَ الشَّيْءَ بِقَهْرٍ وَغَلْبَةٍ وَفَوْزَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: 12]، وَيُقَالُ: هُوَ سَرْعَةُ الْإِنْتِقَامِ وَعَدَمُ التَّوَدُّدِ فِي الْعَفْوِ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْبَطْشِ؛ فَهُوَ بِمَعْنَى الْأَخْذِ الشَّدِيدِ صَوْلَةً أَوْ عُقُوبَةً⁽²⁾.

(2) ﴿جَبَّارًا﴾: (جَبَرَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِصْلَاحِ الشَّيْءِ بِضَرْبٍ مِنَ الْقَهْرِ⁽³⁾، وَالْجَبَّارُ فِي صِفَةِ الْإِنْسَانِ، يُقَالُ لِمَنْ يَجْبِرُ نَفِيسَتَهُ بِادِّعَاءِ مَنْزِلَةٍ مِنَ التَّعَالِي لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَهَذَا لَا يُقَالُ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ⁽⁴⁾، وَرَجُلٌ جَبَّارٌ: مُتَكَبِّرٌ⁽⁵⁾، وَالْجَبَّارُ فِي الْآيَةِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ مِمَّا يَضُرُّ بِالنَّاسِ، وَيَأْخُذُ النَّاسَ بِالشَّدَّةِ دُونَ الرِّفْقِ⁽⁶⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 259/14، والهرري، حقائق الروح والريحان: 123/21.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، والسَّمِينُ، عمدة الحفاظ، وجبل، للعجم الاشتقاقى المؤصل: (بطش).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبر).

(4) الراغب، المفردات: (جبر).

(5) ابن سيده، المحكم: (جبر).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 94/20.

(3) ﴿الْمُصْلِحِينَ﴾: (صلح) أصل واحد يدلُّ على خلاف الفساد، يقال: صَلَحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلاَحًا، ويقال: صَلَحَ بفتح اللام، وحكى ابن السكيت: صَلَحَ وَصْلَحَ، والصَّلَاح والفساد مختصَّان في أكثر الاستعمال بالأفعال⁽¹⁾، والصَّلَاح: الاستقامة والاعتدال، يقال: صَلَحَ، وَصْلَحَ يَصْلُحُ صَلاَحًا وَصْلُوحًا، أي: استقام واعتدل، وأصلح الشَّيء بعد فساده أقامه وعدَّله، ويأتي بمعنى الخير والنَّفع، ومن معاني الصَّلَاح: السَّلامة والصَّحَّة والصَّواب والكمال، والمقصود في الآية هو الإصلاح بين الخصمين بالسَّعي في التَّراضي بينهما بالمعروف⁽²⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يُخبر ربُّنا سبحانه عن موسى ﷺ أَنَّهُ أراد أن يبيطش بالفرعونيَّ الَّذي هو عدُوُّ له وللإسرائيليِّ، فقال الإسرائيليُّ لموسى، وظنَّ أَنَّهُ إيَّاه يريد: يا موسى أتريد أن تقتلني، كما قتلت نفسًا بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكونَ طاغيةً في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين النَّاسِ⁽³⁾، وقيل: القائلُ هو القبطي⁽⁴⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

فائدة العطف بالفاء في ﴿فَلَمَّا﴾:

وُصِلَت الجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ بما قبلها بحرف الفاء الدَّالة على التعقيب مع السَّببية، فأشعرت هذه الفاء بمبادرة موسى ﷺ لنجدة الإسرائيليِّ - بعد تأنيبه له ومعاتبته - قاصدًا القبطيَّ ليمنعه من ظلمه⁽⁵⁾.

إفشاء
الإسرائيليِّ
لحادثة موسى
مع القبطيِّ

مبادرة موسى
لنجدة
الإسرائيليِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلح).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 94 / 20.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 195 / 18، ونخبة من العلماء، التفسير المبسر، ص: 387.

(4) البياضوي، أنوار التنزيل: 174 / 4.

(5) القونوي، حاشيته على تفسير البياضوي: 487 / 14.

بلغة التعبير بـ ﴿فَلَمَّا﴾ الحينية:

طَيِّ الكلام
مناسبة للإيجاز
في المقام

عُبر بـ ﴿فَلَمَّا﴾ الحينية، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، وهي ظَرْفٌ بمعنى: (حينَ)، وتُفيدُ الشَّرْطَ⁽¹⁾، وتأتي في سياقِ الزَّمانِ الماضي، وهي مع إفادتها الحينَ تُلْمَحُ إلى التَّعليلِ في بناءِ الجَزاءِ على الشَّرْطِ، فالتَّعبيرُ بها هنا أفاد الإيذانَ بتقضيِّ الوقتِ وطَيِّ الكلامِ على محاورته للإسرائيَّيَّ، وكذلك أشعرَ بترتُّبِ ما يُذكرُ بعدُ على هذا الأمرِ، فقولُ الإسرائيَّيَّ لموسى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَبْنَاؤُكَ﴾ مترتَّبٌ على جملةِ الشَّرْطِ وجواب لها.

نكتة التوكيد بـ ﴿أَنْ﴾ في ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾:

الإشعارُ
بالإبطاء الزمني
بزيادة حرف في
النَّظم القرآني

ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ حرف ﴿أَنْ﴾ بعد (لَمَّا)، فقال النُّحاة: إنها زائدةٌ للتَّوكيدِ، بمعنى: توكيدُ إرادةِ موسى أن يبطشَ بالَّذي هو عدوٌّ لهما، أي: إنه همٌّ قويٌّ بالبطشِ بالرجلِ القبطيِّ، وذهب بعض العلماء إلى أنَّ زيادةَ (أَنْ) بعد (لَمَّا) تفيدُ الإشعارَ بالإبطاءَ الزمنيِّ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 96]، والنكتة على هذا القول: أنَّ موسى ﷺ لم تكن مسارعته إلى البطشِ بالثَّاني، كما كانت مسارعته إلى البطشِ بالأوَّل، بل كان عنده إبطاءٌ في بسطِ يده إليه، فعبرَ النَّظمُ القرآنيُّ عن ذلك الإبطاءِ بزيادةِ ﴿أَنْ﴾⁽²⁾.

نكتة التعبير بفعل الإرادة:

عزمُ موسى على
نصرة المظلوم
مرةً أخرى

عُبر بفعلِ الإرادةِ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾؛ للدَّلالةِ على العزمِ دون الفعلِ، فإرادةُ موسى ﷺ البطشَ بالقبطيِّ لم تتجاوز العزمَ والتَّصميمَ، بمعنى: أنَّه أرادَ البطشَ به، لكنَّه لم يفعل، كما

(1) ابن هشام، مغني اللبيب: 87/20.

(2) درويش، إعراب القرآن: 295/7.

أفاد هذا التعبيرُ ظهورَ صفةٍ إرادةٍ موسى البطش بما ظهر من أحواله التي كان عليها من الحمية وغيرها.

وقيل: إنَّ الذي أراد أن يبطش هو الإسرائيليُّ، فنهاء موسى عن ذلك بعد أن قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، ففزع الإسرائيليُّ عند ذلك من موسى، وخاطبَهُ بالفضح، وكان موسى من الندامة والتوبة في حدٍّ لا يُتصوَّر معه أن يريد البطش بهذا الفرعوني الآخر⁽¹⁾.

بلغة تعليق الإرادة بالمصدر المؤول:

أوثر التعبيرُ بالمصدر المؤول ﴿أَنْ يَبْطِشَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾؛ لنكتة الدلالة على زمن الفعل، فإنَّ المصدر، قد يكون فيما مضى وفيما هو آتٍ، وليس في صيغته ما يدلُّ عليه، فجاءوا بلفظ الفعل المشتقِّ منه مع ﴿أَنْ﴾؛ ليجتمعَ لهم الإخبارُ عن الحدث مع الدلالة على الزمان، وفي هذا السياق أفاد هذا النظم أن موسى ﷺ قد هبَّ في الحال لنصرة المظلوم.

نكتة التعبير بلفظ: ﴿يَبْطِشَ﴾:

عبرَ بالفعل ﴿يَبْطِشَ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾، والبطش: الأخذُ بالعنف وصولة وسطوة، وقيل: هو المؤاخذة على العمد والخطأ من غير عفو ولا إبقاء، والمرادُ به في هذا النظم الضربُ⁽²⁾.

بلغة التعبير بالموصول وصلته:

استعمل الاسم الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾؛ لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة بشخصيات القصة سوى ما ذُكرَ عنها بالصلة، ولما تسمح به الصلة من الوصف

دلالة المصدر
المؤول دون
الصريح على
زمن الفعل

المؤاخذة على
العمد والأخطاء
من غير عفو ولا
إبقاء

عداوة القبط
لبني إسرائيل
قديمة مطلقة

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4/ 282.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بطش)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 124، وابن عاشور،

التحرير والتنوير: 20/ 94.

بجملة الصلة وبيان علّة الأحكام، فقولُه: ﴿بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ دلّ على أنّ المقصود هو القبطي؛ لأنّه عدوٌّ لموسى ولإسرائيل؛ إذ لم يكن على دينهما؛ ولأنّ القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل على الإطلاق⁽¹⁾.

نكتة التنكير في ﴿عَدُوٌّ﴾:

جاء لفظ ﴿عَدُوٌّ﴾ نكرةً، في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، والنكتة في تنكيره التّفخيم، أي: عدوٌّ عظيمُ العداوة، وإرادة ذلك لم يصفه، والمراد بالذي هو عدوٌّ لهما القبطي، وقد كان القبط أعظمَ النَّاسِ عداوةً لبني إسرائيل⁽²⁾.

مناسبة تعليق ﴿عَدُوٌّ﴾ بقوله: ﴿لَهُمَا﴾:

قيدَ لفظ ﴿عَدُوٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ بالجار والمجرور ﴿لَهُمَا﴾، والمقصود بضمير المثنى موسى ﷺ وإسرائيل، والنكتة في تقييده تأكيدُ بيانِ سببِ إرادة موسى ﷺ أن يبطش به، وكأنّه بمنزلة الاعتذار لموسى في سرعة إقدامه على إغاثة الذي هو من شيعته، فهو ليس عدوًّا لأحدهما فحسب، بل هو عدوٌّ لهما معًا.

بلاغة الفصل في قوله: ﴿قَالَ يَمُوسَى﴾:

فَصَلَ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾، عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾؛ لوجود كمال الاتصال بينهما، وهو اتّحاد الجملتين اتّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَلُ الثانية من الأولى منزلةً نفسها⁽³⁾، فقد وقعت جملة: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ جوابًا للشرط، ففصلت جزاء الشرط عن فعله، كما أفاد الفصل أنّ القول جاء بعد ما وُجِدَت من موسى ﷺ أمارّة البطش وإرادته.

شدّة العداوة
بين الأقباط
والإسرائيليين

الاعتذار لموسى
في سرعته
لنصرة شيعته

ترتّب فصل
الجواب على
ما سبق من
العتاب

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7 / 7.

(2) الألويسي، روح المعاني: 267 / 10.

(3) القزويني، الإيضاح: 108 / 3.

نكتة إضمار الفاعل في قوله: ﴿قَالَ يَمُوسَى﴾:

اختلفت أقوال المفسرين في تعيين فاعل القول في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾، فقال جمهور المفسرين، وهو الرّاجح: إنّ قائل ذلك هو الإسرائيلي، وحجّتهم أنّه لما خاطب موسى الإسرائيليّ بأنّه غويّ، وراه على غضب؛ ظنّ أنّه لما همّ بالبطش أنّه يريد، فقال هذا القول، ولا يعرف قتله بالأمس للرجل إلّا هو⁽¹⁾.

وقال بعضهم: بل هو قول القبطي، وقد كان عرف القصّة من الإسرائيليّ، واستظهروا هذا الوجه؛ لأنّه تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى﴾، فهذا القول إذاً منه لا من غيره، وأيضاً فقوله: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يليق إلّا بأن يكون قولاً من القبطي الكافر⁽²⁾.

بلادةً مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

عدل النظم القرآني عن الإضمار إلى الإظهار باسم العلم: ﴿يَمُوسَى﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾؛ لتبنيه موسى ﷺ وتذكيره بأنّه ينبغي له ألا يفعل هذا، فهو موسى المعروف بصدقه وعدله وخلقه، وكذلك لتوقيف موسى ﷺ على ما وقع منه بالأمس؛ لعله يكفّ عمّا توهّمه الإسرائيلي من البطش به.

بلادة الاستفهام للجازي في الآية:

تضمّن قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ أسلوب استفهام بهمة الاستفهام في ﴿أَتُرِيدُ﴾، والغرض منه هو الإنكار، والمقصود منه التوبيخ والتعجيب، ويتوجّه الإنكار على موسى بإرادته نصرته الذي من شيعته مرّة ثانية، والبطش بالذي هو عدوّ لهما، وأيضاً بما فعل بالأمس، ومبادرته إلى

أنرُ اختلاف
القائل في تفریع
المسائل

تنبيه موسى
إلى تجنب
العنف والقتل

الإنكار على
موسى في العزم
على قتل النفس

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/195، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/281.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/587.

وكثر الرجل حتى مات، كما يمكن حمل الاستفهام على حقيقته بكونه لطلب التصديق⁽¹⁾.

فائدة التعبير بالمصدر المؤول ﴿أَنْ تَقْتُلَنِي﴾:

أوثر التعبير بالمصدر المؤول ﴿أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾؛ لنكتة الدلالة على زمن الفعل، وهو هنا الدلالة على الحال، بمعنى: أتريد أن تقتلني الآن أو اليوم، كما قتلت نفساً بالأمس؟ وذلك لأن المصدر قد يكون فيما مضى، وفيما هو آتٍ، وليس في صيغته ما يدل عليه، فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع ﴿أَنْ﴾؛ ليجتمع لهم الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان⁽²⁾.

بلغة التشبيه في الآية:

تضمن قوله تعالى: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ فتاً من فنون البيان، وهو التشبيه، فالمشبه هو المصدر المؤول: ﴿أَنْ تَقْتُلَنِي﴾، والمشبّه به: ﴿قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، والأداة هي الكاف، ووجه الشبه هو الظلم والاعتداء في كلا القتلين، والنكتة في إيراد التشبيه: المبالغة في الإنكار على موسى ﷺ بتنبهه على خطر فعله وقبح ما وقع منه بالأمس، كما أن في التشبيه دليلاً على أن الإسرائيليين توهم فعلاً أن موسى كان عازماً على القتل.

فائدة تنكير ﴿نَفْسًا﴾:

جاء لفظ ﴿نَفْسًا﴾ نكرة، في قوله تعالى: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، والنكتة في تنكيرها الإبهام؛ لكون المقتول مجهولاً عنده، ويحتمل أيضاً أن يكون غرض التنكير التعظيم؛ ليفيد تعظيم هول قتل نفس غير مستحقّة للقتل، وقتل النفس مستقبّح في جميع الشرائع، وحفظ النفس المعصومة من أصول الملل كلها⁽³⁾.

الإخبار عن
الحدث مع
الدلالة على
الزمان

القتل مُستنكر
في الشرائع حتى
للمخالف ما لم
يأت الدليل على
إباحته

قتل النفس
ظلمًا مستقبّح
في جميع
الشرائع

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 487/14.

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد: 92/1.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 90/20.

نكتة التعبير بظرف الزمان: ﴿بِالْأَمْسِ﴾:

استعمل لفظ ﴿بِالْأَمْسِ﴾، في قوله تعالى: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، ويحتمل أن يكون المراد بالأمس: اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ، ويحتمل كذلك أن يكون الأمس مجازاً عن قرب الزمان، فأراد الإسرائيلي تذكير موسى ﷺ بقرب الوقت الذي قتل فيه نفساً، وهو معرب لدخول (أل) عليه، وذلك الشائع فيه عند دخولها، وقد بُنِيَ معها على سبيل النُدرة⁽¹⁾.

استعمال
الأمس مجازاً عن
قرب الزمان

بلغة الفصل في ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا﴾:

فُصِّلَت جملة: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الجملة التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؛ لوجود كمال الاتصال بينهما، وهو اتِّحَادُ الجملتين اتِّحَادًا تَامًا وامتزاجاً معنوياً، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها⁽²⁾، فقد وقعت الجملة الثانية تأكيداً للأولى؛ فُفْصِلَت، كما يُفصل بين المؤكِّد والمؤكَّد، واستنبطوا من هذا التأكيد أَنَّ البطش بالناس وقتلهم يجعل صاحبه جباراً في الأرض، وقال بعضهم: من قتل نفسين؛ فهو من الجبابرة⁽³⁾.

البطش بالناس
وقتلهم يجعل
صاحبه جباراً في
الأرض

بلغة القصر في ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ﴾:

تضمَّنَ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أسلوبَ قصرٍ بطريق النفي والاستثناء، فالنفي بحرف ﴿إِنْ﴾، والاستثناء بأداة الحصر ﴿إِلَّا﴾، فهو من قصر الموصوف على الصِّفة قصرًا إضافيًا بتقدير: مرادك مقصورٌ على كونك جباراً في الأرض⁽⁴⁾.

المبالغة في
الإنكار بالقصر
على وصف جبار

(1) الألوسي، روح المعاني: 267/10.

(2) القزويني، الإيضاح: 108/3.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 196/18، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 587/24.

(4) القنوني، حاشيته على تفسير البضاوي: 487/14.

دلالة التعبير بالفعل: ﴿تَكُونُ﴾:

الرُّسُوخُ
بالجبروت
والجَبَلَةُ عليه

أوثر التعبيرُ بفعل الكون، في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا﴾، وقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، للمبالغة في الوصف بالرُّسوخ في الجبروت والجَبَلَةُ عليه، ونفي الرُّسوخ في الاتِّصاف بوصف الإصلاح⁽¹⁾.

نكتة التعبير بلفظ: ﴿جَبَّارًا﴾:

من قتل نفسين
فهو من الجابرة

جاء لفظ ﴿جَبَّارًا﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا﴾، وأصلها من العظمة والعلو⁽²⁾، فالجَبَّار المتعظَّم الذي لا يتواضع لأمر الله، وهو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، ولا ينظر في العواقب، ولا يدفع بالتّي هي أحسن، وقد وصف الإسرائيليُّ موسى بوصف ﴿جَبَّارًا﴾؛ لأنَّ قتل النفوس ظلماً بغير حق من فعل الجابرة، وقيل: إنّما قال ذلك لموسى الإسرائيليُّ؛ لأنَّه كان عندهم من قتل نفسين؛ فهو من الجابرة⁽³⁾.

بلادة الاستعارة في قوله: ﴿جَبَّارًا﴾:

استثارة النفوس
بتشبيه المعقول
بالمحسوس

تضمَّن قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مجازاً في أصل اشتقاق لفظ (الجَبَّار)؛ لأنَّ الجَبَّار في الأصل النخلة الطويلة، فاستعملَ في التعالي والتطاوُل المعنويِّ والتَّعَاظُم؛ تشبيهاً للمعقول بالمحسوس استعارة، ثم صار حقيقة عرفية في ذلك⁽⁴⁾.

فائدة التقييد في قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾:

تصويرُ سطوة
الجبار وما يتركه
في الأرض من
آثار

قيدُ الجبروتُ بكونه: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، مع ظهور أنَّ تصرُّفَ البشر لا يكون إلا في الأرض، والنُّكْته في ذلك المبالغة في تصوير ظهور أثرِ سطوة الجَبَّار

(1) البقاعي، نظم الدرر: 261/14، والشَّريني، السراج النير: 89/03.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبر).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 197/18.

(4) القنوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 487/14.

وقوّة بطشه في الأرض، مع تنزيل فعل الجبار في مكانٍ ما منزلةً من شمل تجبره الأرض جميعاً، مبالغة في الذم وتنفيراً من الوصف.

نكتة التعبير بالحرف ﴿فِي﴾ في الآية:

ورد حرف الجر ﴿فِي﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، وهو دالٌّ على الظرفيّة والتّمكّن من المظروف بالوصف المذكور، بمعنى: أن جبروتك متمكّن في الأرض منتشر فيها.

تمكّن الجبروت
تمكّن الظرف
من المظروف

فائدة التعريف بـ (أل) في قوله: ﴿الْأَرْضِ﴾:

جاء لفظ ﴿الْأَرْضِ﴾ مُعرّفاً بـ (أل)، في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، وتحتل العهد؛ إذ المراد أرض مصر، فهي المعهودة، وهو الأظهر، وقد تُحمل (أل) على الاستغراق؛ لإرادة التّهويل بأن جبروت موسى يعمّ الأرض كلّها، وأنه يريد ألا يكون فوقه أحدٌ في أيّ أرض يكون بها⁽¹⁾.

احتمال السّباق
الدّلالة على
العهد أو
الاستغراق

سرّ العطف بالواو في قوله: ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾:

وُصِلَتِ الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بالجملة في قوله سبحانه: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، بحرف الواو الدالّ على الجمع والاقتران؛ لأنّ بينهما ما يسمّى في البلاغة بالتوسّط بين الكمالين (كمال الاتصال وكمال الانقطاع)، فقد اتّفقتا في الخبريّة لفظاً ومعنى⁽²⁾.

جمعُ الجملتين
للتوسّط بين
الكمالين

دلالة النفي بـ (ما) في ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾:

أوثر النفي بـ (ما) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ تأكيداً من الإسرائيليّ على نفي الصّلاح عن موسى ﷺ عندما توهم أنه يريد قتله، كما فعل بالقبطيّ بالأمس، وقد أثر النّظم هذا الحرف للنفي؛ لأنّ في حرف (ما) من معنى التأكيد

نفي الصّلاح
عمّن يقتل
نفسين

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 487/14، والشّربيني، السّراج النّير: 89/03.

(2) القزويني، الإيضاح: 127/3.

ما ليس في غيره، كما قال سيبويه: "وإذا قال: (لقد فعل)؛ فإن نفيه: (ما فعل)؛ لأنه كأنه قال: (والله لقد فعل)، فقال: (والله ما فعل)"⁽¹⁾، فهي أكد في النفي من (لم)⁽²⁾.

بديع المقابلة في الآية:

جمع المتكلم لموسى الجبروتية؛ ونفي الصلاح⁽³⁾، وبين تقابل الجبروتية والصلاح وتخالفهما تضادٌ يثير الذهن، ويجذب الانتباه، وهذا فنٌّ من فنون البديع، وهو المقابلة، يزيد الكلام حسناً وطرافة، كما يقوّي المعنى؛ إذ بضدها تتمايز الأشياء.

فائدة التعبير بالمضارع ﴿تُرِيدُ﴾:

أوثر التعبير بصيغة المضارع في الموضعين: ﴿إِنْ تُرِيدُ﴾ و﴿وَمَا تُرِيدُ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾؛ لإفادة التجدد والدوام، بمعنى: أن إرادة التجبر وعدم إرادة الإصلاح صارا وصفاً دائماً متجدداً لمن يقتل النفوس بغير حق.

نكتة التعبير بالوصف مجموعاً ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ نفياً الإسرئيلي إرادة الإصلاح عن موسى ﷺ بعدم إدراجهِ في زمرة المصلحين، ونفياً أن يكون من العريقين في الإصلاح، ولم يقل: وما تريد أن تكون صالحاً؛ وذلك لأن جمع الوصف، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فيه دلالة على أصالة الفرد في ذلك الوصف على سبيل المبالغة، وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات⁽⁴⁾، إضافة إلى ما في هذا الأسلوب من رعاية الفواصل.

البالغة في
الإنكار بالجمع
بين التجبر ونفي
الصلاح

مضارع الأزمان
لإفادة التجدد
والدوام

رسوخ وصف
التجبر وعدم
الإصلاح

(1) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.

(2) السامرائي، معاني النحو: 4/ 569.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 294.

(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 427.

فائدة حذف متعلق الوصف ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾:

حُذِفَ متعلق الوصف، في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، وتقديرُ الكلام من المصلحين بين الناس، وفائدة حذف المتعلق إثبات معنى الإصلاح في نفسه، وأنه ينبغي ألا يكون من موسى ﷺ إلا الإصلاح، أو أن الإصلاح لا يكون إلا منه على سبيل المبالغة لما ظهر من حاله، وكان معروفاً به في قومِه ومع الناس عموماً، كما أن في حذف المتعلق رعايةً للفاصلة.

بلادة الكناية في الآية:

يتضمنُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ كنايةً عن أن موسى ﷺ كان معروفاً بحسن خُلُقِهِ وصَلاحِ أمره وإصلاحه بين الناس، وأن بطشه بالقبطي يخالف ما هو عليه من الصَّلاح وما اعتاده من الإصلاح، وفيه أيضاً دلالة على أن مَنْ يصلح بين متشاجرَيْن، فإنما يدفعُ أحدهما عن الآخرِ بالتي هي أحسن، فلا يقتل أحدهما، ولا يأخذ أحدهما دون الآخر، ولكن يصلح بينهما على السَّواء⁽¹⁾.

❁ الفروقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الكبر والجبروت:

يتمثلُ الفرقُ بين هذين اللَّفْظَيْن أنَّ الجبروت أبلغُ مِنَ الكبر، ويدلُّ على هذا فخامةُ لفظه، وفخامةُ اللَّفْظِ تدلُّ على فخامة المعنى فيما يجري هذا المجرى، كما أنَّ الفعل (تَجَبَّرَ) أبلغُ من (تَكَبَّرَ)، فقد قال بعض العلماء: تَجَبَّرَ الرَّجُلُ؛ إِذَا تَعَظَّمَ بالقهر، وَأَمَّا التَّكَبُّرُ؛ فلا يتضمنُ معنى القهر، والجَبَّارُ القَهَّارُ، والجَبَّارُ العَظِيمُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [الأنعام: 22]، والجَبَّارُ المتسلِّطُ في قوله

صَلاحِ النَّفْسِ
شرطُ في الإصلاح
بين الناس

ما كان الرَّفْقُ في
شيءٍ إلا زانه ولا
يُنزَعُ من شيءٍ
إلا شانه

الجبروت
تعظُّمٌ مع
القهر والغلبة،
وأما الكبر؛ فلا
يتضمنُ معنى
القهر

(1) التَّسْفِي، التَّبْسِيرُ في التَّفْسِيرِ: 417/11.

تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء: 130)، والتجبر أصله النخلة التي فاتت اليد، فشُبِّهَ بها على سبيل المجاز والمبالغة⁽¹⁾.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 246.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40: المجلد الأربعون، سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-90-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»